مجلة
الأصول والنوازل

معنى النوازل والاجتهاد فيها

د. عابد بن محمد السفياني
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى سابقاً
وعضو مجلس الشورى

• نال درجة الماجستير في أطروحتة بعنوان: " دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما".

• نال درجة الدكتوراه في أطروحتة بعنوان: " الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ".

• له عدد من البحوث العلمية ، منها : " الإسلام يعلو ولا يُعلى دراسة تأصيلية تطبيقية" " حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب " ، " موقف أهل السنة والجماعة من المصطلحات الحادثة ودلالاتها" ، "المحكمات وأثرها في وحدة الأمة وحفظ المجتمع"، وغير ذلك من البحوث العلمية .

معنى النوازل والاجتهـــاد فيهـــا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصـــحبه ومـــن والاه، وبعد:

إن العناية بأصول العلوم من أهم الطرق لإحياء الأمة في جميع المجالات، لأن الأمة محتاجة في نهضتها لجميع العلوم، والعناية بأصول كل علم هو حفظ له وتجديد لحياة الأمة الدينية والدنيوية وتحقيق مصالحها.

وكذلك العناية بالنوازل وهي المسائل المستجدة التي لها أثر على كيـــان الأمة العقدي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو التربوي.. الخ.

ومن تأمل تاريخ المسلمين يجد أن لهم عناية فائقة بأصول العلوم، ولهـــم عناية فقهية بالنوازل التي تَجِدُّ في حياة الأمة، وردها إلى تلك الأصول.

وتختص هذا الورقة[١] ببيان معنى النوازل وحقيقتها، وأوصافها، مع بيان حكم الاجتهاد فيها، وكيفية معالجة النازلة بالاجتهاد الفقهي.

(١) أصل هذه الورقة عرضها الباحث على نخبة من أهل العلم والباحثين في اللقاء التعريفي للمجلة بتاريخ ١٤٢٩/٣/١٣هـــ، والذي استضافته **مجلة البيان** مشكورة.

معنى النـــازلة في اللغـــة:

النوازل جمع نازلة، والنازلة اسم فاعل من نزل يترل إذا حل ومن ذلـــك القنوت في النوازل[1].

وأما في الاصطلاح:

فقد شاع واشتهر عند الفقهاء إطلاق النازلة على: المسألة الواقع الجديدة التي تتطلب اجتهاداً، قال ابن عبد البر: "باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة"[2].

وقال النووي: "وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل وردها إلى الأصول"[3].

وقال ابن القيم: "وقد كان أصـــحاب رســـول الله > يجتهـــدون في النوازل"[4].

ويمكن أن يستنبط جملة من الأوصاف للنازلة منها:

١. كونها واقعة.

٢. كونها جديدة.

٣. كونها شديدة.

وقد استنبط بعض أهل العلم هذه الشروط من المعني اللغوي للنازلة [5].

والذي يظهر لي أن الوصف الأول والثاني وصفان طبيعيان لمعنى النازلـــة لأن المسألة التي تحتاج إلى اجتهاد شرعي في الغالب لابـــد أن تكـــون قـــد

---

(١) انظر: لسان العرب: ١١/ ٦٥٦، مادة: (نزل).

(٢) جامع العلم وفضله: ٢/ ٥٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ١/ ٢١٣.

(٤) إعلام الموقعين: ١/٢٠٣.

(٥) فقه النوازل: ١/٢٤.

وقعت[١]، وكانت من المسائل الجديدة وهذا في جميع المسائل، ثم تختص النازلة بكونها شديدة بحيث تلتفت لها الأمة في مجموعها وتستدعي موقفاً اجتهادياً شرعياً، ويترتب على ترك الاجتهاد فيها ضرر على المسلمين.

وهذا المعنى وهو كونها تتصف بالشدة وإن كان له أصل في اللغة لكن الأقوى الاستدلال عليه بما ورد في بعض نصوص السيرة وفيها أن النبي > كان يقنت في النوازل[٢] كما ورد في كتب الحديث (القنوت في النوازل) [٣] أي الشدائد.

وقد عرفها بعض أهل العلم بقوله: "ما استدعى حكماً شرعياً من الوقائع المستجدة"[٤] أو يقال: هي الوقائع المستجدة الملحة.

وإذا انضاف إلى ذلك كونها شديدة أي متعلقة بأمور لها أهميتها في واقع الأمة يستقيم لنا حينئذ التفريق بينها وبين عموم المسائل الجديدة، إذا ليس كل مسألة جديدة نازلة.

---

(١) قلت في الغالب لأنه يجوز أن يسأل عن مسألة لم تقع كما ورد في سؤال بعض الصحابة في حديث (أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟...) الحديث، أخرجه البخاري ٤/١٤٧٤، رقم (٣٧٩٤)، ومسلم ١/٩٥، رقم (٩٥)، عن المقداد بن الأسود ﵁.

(٢) ومن ذلك قنوته - عليه الصلاة والسلام- بعد ما قُتل أصحابه القرّاء ﵃.

انظر: صحيح البخاري ٣/١١٥٦، رقم (٢٩٩٩)، وصحيح مسلم ١/٤٦٨، رقم (٦٧٧).

(٣) انظر التلخيص ١/٢٢٦، فقه النوازل د. محمد الجيزاني ١/٢٠.

(٤) فقه النوازل د. محمد الجيزاني ١/٢٤.

شمولية معنى النازلة :

يتجه بعض الباحثين إلى تقسيم النوازل إلى فقهية وغير فقهية والفقهية المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية، وغير الفقهية المتعلقة بالمسائل العقدية كظهور الفرق والنحل والصور الحديثة للشرك، وبعض المسائل التربوية الحادثة، والاكتشافات العلمية المبتكرة، والمسائل اللغوية المعاصرة كتسمية بعض المخترعات الحديثة (١).

وهذا تقسيم حسن، وإن كان هذا كله يشمله اسم الفقه بالمعنى العام عند السلف كما هو معلوم، وعليه يمكن تسميته بفقه النوازل ولا يدخل في ذلك ما يتعلق بعلوم العربية إلا ما دخل في حكم شرعي.

أهمية الاجتهاد في النوازل :

الاجتهاد في النوازل من فروض الكفايات، ويتعين على من يجد في نفسه قوة على ذلك، وخاصة عند فقد من يستطيع النظر فيها.

ولا ريب أن الاجتهاد سواء الاجتهاد بالمعنى العام أو الاجتهاد الذي يتجزأ في بعض المسائل هو من ضروريات إحياء الدين وتجديده، ولا تستغني عنه الأمة في كل عصر من العصور(٢)، وعلى الباحث الذي لديه أهلية للاستنباط أن يستجمع ما يتعلق بالمسألة المبحوثة من الأدلة.

---

(١) فقه النوازل ٢٨/١.

(٢) انظر: الاجتهاد للأفغاني رسالة دكتوراه.

كيفيـــة الاجتهـــاد في النـــازلة:

١. التصور الصحيح لها ويكون ذلك بالخطوات التالية:

أ- تحديد موضع النزاع وموضع البحث فيها وطبيعته سواء كان فقهياً أو تربوياً أو لغوياً.. الخ [١].

ب- استقصاء الدراسات السابقة إن وجدت، سواء كانت في علوم الشريعة أم في غيرها من العلوم، وتحديث المعلومات حول النازلة.

ج- البحث عن ظروف النازلة وتاريخها والظروف المحيطة بها.

د- الرجوع إلى أهل الاختصاص فيها ومشاورتهم[٢].

٢. تكييف النازلة وذلك بردها إلى أصلها العلمي إن كانت ترجـــع إلى أصل، أو ردها إلى جملة أصول، أو بما يغلب عليها، أو اعتبارها مسألة لها حالة خاصة.

وكل ذلك يعرف إما بالنص أو الإجماع أو التخريج على نازلة متقدمة، أو فتوى إمام متقدم أو قاعدة فقهية، وأما عموم المســائل المتعلقــة بــالعلوم الأخرى فيعرف تكييفها باتباع مناهج البحث في تلك العلوم.

٣. تطبيق الحكم عليها تحقيقاً لمقصد الشارع، وتحصيلاً للمصــالح ودرءاً للمفاسد في الحال والمآل، وذكر الأدلة على ذلك [٣]، وهذا كما سلف بيانــه

(١) تحديد موضع النزاع منهج أصل في البحث يجمع قدرة الباحث ونشاطه للدخول في موضوعه دون تطويل المقدمات، ويبصره بتحقيقه المسألة، ويعينه على الوضوح والوصول إلى النتائج العلمية.

(٢) انظر فقه النوازل د. محمد الجيزاني ١/٤٤.

(٣) المرجع السابق ١/٥٠، ٥٤.

في علوم الشريعة، وفيما سواها اتباع مناهج البحث في كل علم بخصوصه مع بيان حكم الشرع، والكشف عن مقاصده من خلال الدراسات في المجالات العلمية والتقنية والاجتماعية وغيرها من القضايا المهمة للمجتمع.

وهذه إشارات تكشف عن أهمية النوازل وكيفية الاجتهاد فيها نقدمها للباحثين الفضلاء لتكون مجالاً للمناقشة والمداخلات التي يمكن أن ترد على هذا الموضوع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

معنى النوازل والاجتهاد فيها ١٥
معنى النـــازلة في اللغة ١٦
معنى النـــازلة في الاصطلاح ١٦
أوصاف النـــازلة ١٦
شمولية معنى النـــازلة ١٨
أهمية الاجتهاد في النوازل ١٨
كيفية الاجتهاد في النازلة ١٩
فهرس الموضوعات ٢١